

الاغتراب في شعر عدنان الصائغ

Alienation in the poetry of Adnan Al-Sayegh

م.د محمد طه عبد المعين الربيعي

مديرية التربية نينوى

mohammedtahamm2020@gmail.com

M.D. Muhammad Taha Abdel Moin Al-Rubaie

الملخص:

ظاهرة الاغتراب من الظواهر المهمة التي ترمي الكشف عن تلك الاحاسيس والرؤى التي يبثها الشعراء في ثنايا قصائدهم بوصفها نتاجاً نفسياً وفكرياً وثقافياً، تغري بالبحث عن الأسباب التي كمنت وراء شعورهم بالاغتراب لتشكل اعترافاً ضمنياً لما يجوس ذواتهم الدفينة، وأفكارهم الجريئة التي تخاتل الواقع، إذ يقيم الشاعر لنفسه فضاءً خاصاً داخل ذاته يحتمي بها مما يحيط به من مجتمع او مواقف وأفكار يشاكسها فكره وهواه، او أحاسيس تسكن نفسه وتحرك ذاته باتجاه مغاير. وقد وقع الاختيار على الشاعر (عدنان الصائغ) بوصفه شاعراً عراقياً مغترباً عن وطنه وصوتاً جريئاً بأفكاره، إذ يمارس شهوته الفكرية بالتمرد على الواقع بحثاً عن ذاته، وخضخضة الفكر بالمدحش بما يفتح مساحات اشتغال مكثفة في التلقي الشعري، فقدم إبداعاً شعرياً مميزاً يستدعي البحث.

لا شك أن الشاعر عاش أشكالاً متنوعة من الاغتراب النفسي والمكاني والفكري والاجتماعي، وغيرها لكن البحث اقتصر على دراسة نوعين منهما وهما (النفسي والمكاني) بوصفهما أهم أنواع الاغتراب التي هيمنت على شعره وفق دراسة تحليلية تنطلق من النص، وجاءت الدراسة على ثلاثة مباحث تناول الأول منها الاغتراب بصورة عامة، في حين تناول المبحث الثاني الاغتراب عند القدامى، اما المبحث الثالث درس الاغتراب عند الصائغ، وأثره في نصه الشعري ثم الخاتمة التي تعرض أهم النتائج التي توصل اليها البحث.

أهم المصادر التي اعتمدها الباحث (الاغتراب في شعر الرواد) و(الاغتراب في الرواية العربية) وغيرها من المصادر التي درست ظاهرة الاغتراب. وهذا ونسال الله حسن القول وصواب الرأي.

الكلمات المفتاحية: (الاغتراب الفكري، المكاني، الاجتماعي، النفسي)

Abstract

The phenomenon of alienation is one of the important phenomena that aim to reveal those feelings and visions that poets broadcast in the folds of their poems as a psychological, intellectual and cultural product. The poet has a special space for himself within himself, in which he takes refuge from what surrounds him from society, attitudes and thoughts that are disturbed by his thoughts and whims, or feelings that inhabit him and move him in a different direction. The poet (Adnan Al-Sayegh) was chosen. As an Iraqi poet estranged from his homeland and a bold voice with his ideas, as he exercises his intellectual lust by rebelling against reality in search of himself, and permeating thought with the surprising, which opens up spaces for intense work in poetic reception, he presented a distinctive poetic creativity that calls for research. There is no doubt that the poet lived various forms of psychological, spatial, intellectual, social, and other forms of alienation, but the research was limited to studying two types of them, namely (psychological and spatial), as they are the most important types of alienation that dominated his poetry according to an analytical study based on the text. The study came to three topics, the first of which dealt with Alienation in general, while the second topic dealt with the alienation of the ancients, while the third topic studied the alienation of the jeweler, and its impact on his poetic text, and then the conclusion that presents the most important findings of the research. The most important sources adopted by the researcher (Alienation in the Poetry of the Pioneers) and (Alienation in the Arabic .Novel) and other sources that studied the phenomenon of alienation

Keywords: (intellectual, spatial, social, psychological alienation)

المبحث الأول

الاغتراب

الاغتراب من المواضيع التي تناولها الدارسون في مختلف المجالات الأدبية والنفسية والاجتماعية وربما في ميادين علمية أخرى متنوعة كل حسب اختصاصه، ولا بد من تتبع الدلالة اللغوية والاصطلاحية المتداولة لمفردة الاغتراب بغية الوصول إلى الدلالة والمعنى والمفهوم الخاص بالمفردة المفهوم اللغوي للاغتراب: تشير المعاجم اللغوية العربية إلى أن مصطلح "الاغتراب" مأخوذ من الجذر اللغوي "عرب"، وهو جذر يدل على حد الشيء، يقال: غرب السيف، أي حده، ويقال (زكريا، ١٩٧٩م، صفحة ٤/٤٢٠). استغرب الرجل، إذا بلغ حده الأبعد من الضحك، فالغرب هو الحد من كل شيء. أما العربة والغرب، فهو الاغتراب ذاته، وهو النزوح عن الوطن، والبعد عنه، والتغرب كذلك، يقال: غربه الدهر، واغترب عن وطنه، إذا ابتعد عنه، يقال (الإفريقي (١٤١٤هـ)، د.ت، صفحة ١/٦٣٩). الغربة والغرب «النزوح عن الوطن والاغتراب، والتغرب كذلك تقول منه: تغرب واغترب، وقد غربه الدهر، ورجل غُرب بضم الغين والراء، وغريب، بعيد عن وطنه، الجمع غرباء والأنثى غريبة» (الإفريقي (١٤١٤هـ)، د.ت، صفحة ١/٦٣٨) أي من غير أهل زوجها، ويشير أحمد مختار عمر إلى أن الاغتراب مصدر من الفعل "اغترب" وهو مصطلح دال على معنى الضياع، وفقدان الإنسان شخصيته وكيانه مما يجعله يحس بالحاجة إلى الثورة والخروج على المألوف كي يستعيد هذا الكيان، وتلك الشخصية (عبد الحميد، ٢٠٠٨م، صفحة ٢/١٦٠٢). وتحقيق تفاعلها الإنساني في الوجود

المعنى الاصطلاحي للاغتراب

إن الاغتراب من الظواهر البشرية التي أهتم بها الدارسون وتعمقوا كثيرا في شرحها وتعقبوها في كل تفاصيلها وجوانبها الإشكالية بالدراسة التأويل، وقد بين جان جاك روسو أن الاغتراب الإنساني ينقسم على نوعين وفقاً لمفهوم نظرية العقد الاجتماعي، القسم الأول: وهو اغتراب قسري، ويعود هذا الاغتراب إلى زمن الإقطاعيات؛ إذ كان الإنسان يعيش حالة من الاغتراب القسري الذي يفرضه عليه طبيعة الإقطاع في ذلك الحين، والثاني: الاغتراب الطوعي: وهذا ناشئ من طبيعة انتظام الإنسان تحت لواء العقد الاجتماعي، وفقدانه بعض المكونات الاجتماعية، والحريات التي يعيشها للدولة، وذلك في محاولة للوصول إلى غايته من الحياة الاجتماعية المستقيمة، فإن حماية هذه الحقوق والحريات الخاصة بكل فرد لا بد أن تخضع لبعض ملامح الاغتراب الطوعي من هؤلاء الأفراد (جان جاك روسو، ١٩٥٤م، الصفحات ٥٨-٦٦)، ومن بين الفلاسفة المحدثين الذين تناولوا الحديث عن الاغتراب، وطرق مواجهته، الفيلسوف "هيجل" الذي تعرض في مؤلفاته إلى قضية (الجمال) كحل لمشكلة الاغتراب ووسيلة للقضاء عليه. ويرفض منذ البدء في تنظيراته بهذا الشأن، أن يكون الجمال المعني هو الجمال الموجود في الطبيعة، بل إن الجمال

الحقيقي عنده هو جمال العقل، وهو الموجود في الفن؛ لأنه نتاج العقل والمتولد عنه. فجمال الطبيعة لا يمكن استغلاله، ولا يستطيع المتذوق له أن يجدده بكل كثافته وأبعاده كما حدث

في أول مرة، كما لا يمكن قياسه ورصده. أما الجمال الفني الناتج عن العقل، فإنه يعد ممارسة للحرية والطاقة الإنتاجية التابعة عن الخيال، كما تحرر من حزن وتناقضات الحياة الواقعية، وقهر للاغتراب بالتوحد مع الذات الحقيقية المتموضعة خارجا في النتاج الفني (مجاهد عبد المنعم، ١٩٩٧م، الصفحات ٨١-٨٢). ويعد الفيلسوف "أريك فروم" من أهم الدارسين الذين من قَدَّموا الاغتراب بوصفه مصطلحاً أدبياً، وبوصفه مكوناً نفسياً، وذلك في تعريفه للاغتراب حيث يقول: " هو ما يعانيه الفرد من خبرة الانفصال عن وجوده الإنساني وعن مجتمعه وعن الأفعال التي تصدر عنه، فيفقد سيطرته عليها وتصبح متحكممة فيه، فلا يشعر بأنه مركز لعالمه ومتحكم في تصرفاته" (سلامي، ٢٠٠٠م، صفحة ١٩) بصورة كبيرة.

كما شغل الاغتراب مساحة مهمة في الفكر العربي إذ قسموه على أنواع مختلفة كاغتراب الاوطان واغتراب الحال والفكر وغيرها، كما نجد عند الخطابي (٣٨٨ هـ) في كتاب العزلة اذ ميز بين نوعين من (الاغتراب) العزلة الاولى الفكرية والثانية عن الأشخاص (الفلاح، ٢٠١٣م، الصفحات ١٨-١٩) لعل من أفضل التوصيفات الثقافة العربية للاغتراب ما جاء في قول التوحيدي الذي ينعطف إلى الذات التي تشعر بالانفصال عما يحيط بها بالرغم من قربها منه "فأين انت من غريب طالت غربته في وطنه وقل حظه ونصيبه من حبيبه وسكنه" (عبدالرحمن بدوي، ١٩٥٠ م، صفحة ٧٩) ويقول أيضا "انه الانسان الذي يجد ذاته بعيدا عن الجماهير والعامة" (علي شتا، ١٩٩٧، صفحة ٣٢) فهو يعيش حالة الانفصال العاطفي والفكري فهو، أي أن علاقة الذات بالآخر هنا سلبية، والذي يكمن في ذات الانسان، أي يخالف الدستور الحياتي السائد في المجتمع القامع لفكره او لروحه الشعرية المغامرة.

ويتضح مما سلف أن الاغتراب: مصطلح فلسفي النشأة، يشير إلى ذلك الإحساس العميق بالعزلة والضياع، وعدم السيطرة، سواء أكان ذلك الإحساس مرتبطاً بعناصر اجتماعية، أم اقتصادية، أم مكانية، أم زمانية، مما يقود الإنسان إلى النفور من هذا الإحساس، والثورة عليه، ومحاولة الوصول إلى سبل لمواجهة هذا الإحساس. (الحراسيس، ٢٠١٦، صفحة ٩) وقد يكون الشعر من أهم الأشياء التي يلتجئ إليها الانسان حال شعوره بالاغتراب، إذ يسعى إلى "الانعتاق من العالم المحيط به إلى عالم من صنع نفسه" (عبد الله أحمد المهنا، صفحة ٤٦٥) يؤسسه على وفق رؤاه وهواه.

١. الاغتراب عند الشعراء القدامى:

الاغتراب ظاهرة عاشها البشر منذ بدايات خلقه، وتعددت معاني هذه الظاهرة في الدراسات وقد وردت كلمة اغتراب في الكثير من الاشعار في العصر الجاهلي والإسلامي والاموي وصولا إلى العصر الحديث بدلات متنوعة لها

تحولات دلالية تتشظى إلى مفاهيم متنوعة زمانية ومكانية وفكرية ونفسية وحتى عرقية مما يعطي مساحة اشتغال شعري واسعة تموج بالكثير من المفاهيم التي يغامر فيها الشاعر للتعبير عن مضمرات ذاته. فنجد مثالا كلمة اغتراب لدى الشاعر (بشر بن أبي حازم) الذي يرثي نفسه بعد فراقه لقومه وبعده عنهم وما يجوش في نفسه من شوق وحنين لهم أضرم نارا تنفخ على لسانه اغتراباً إذ يقول:

فَمَنْ يَكُ سَائِلاً عَنْ بَيْتِ بَشْرٍ

ثَوَى فِي مُلْحَدٍ لَا بُدَّ مِنْهُ

فَإِنَّ لَهُ بِجَنْبِ الرَّدَةِ بَابَا

كَفَى بِالْمَوْتِ نَأْيَا وَاغْتِرَابَا

(فاروق احمد أسليم، ١٩٩٨م ، صفحة ٢٢١)

فقد تغرب امرؤ القيس حين أنكر عليه أبوه قول الشعر؛ فخرج مغضوباً عليه، ثم ما تحمله من هم وقلق لأخذ تأر أبيه وموته غريباً في أرض الروم. كما عانى طرفة بن العبد من الاغتراب حين خرج على مجتمعه وتمرد على قيم القبيلة فتحامته العشيرة، مما ضاعف حسه بالاغتراب بعد يتمه وقسوة ذويه وسلبهم حقوقه. والامر لا يختلف كثيراً عن عنتره العبسي الذي عانى الاغتراب بسبب لونه ونسبه لأمه الحبشية وحرمانه من الزواج من عيلة، كما وجد الاغراب سبيله إلى الشاعر ذي الرمة الذي بات ضحية الاغتراب الاجتماعي بسبب مرضه العصبي والعاطفي حين أحب (مئة) حبا كبيرا، ومرورا بالمتنبي وذاته المتعالية نحو المجد فقد ارتبط الاغتراب بحياته وفكره وتجلي كثيرا بأشعاره، فكانت صدى لمعاناته وإيمانه العميق بذاته التي وجدت نفسها غريبة عن مجتمعه كما يشير في قوله.

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

(يحيى شامي، صفحة ٨٢)

وإذا ما اقتربنا من أبي العلاء المعري أطلنا على جدل فلسفي عميق شكل اغتراباً نفسياً وفكرياً، عن مجتمعه وزمانه، فكانت له رؤية مختلفة عن المناخ الفكري، مما اضطره إلى العزلة القاتلة، إذ رفض العالم وانطوى على نفسه، وهكذا

يتكشف لنا الاغتراب من خلال أولئك الشعراء وسواهم عن حساسية فكرية ونفسية مختلفة عن واقعها الذي رأيت فيه فراغا لا يملأ ذاتها، ومسافة شاسعة لا تحقق لها التواصل.

وإذا انعطفنا نحو الشعر العربي الحديث سنجد أنّ انعكاس الاغتراب عليه بات طردياً مع تعقيد الحياة وتغير أوضاع المجتمع، بسبب الحروب وكذلك ضريبة الحضارة التي مكنته وسلبت منه الكثير من المشاعر حتى بات يلتجئ إلى الطبيعة، وهذا ما نجده كثيراً في اشعار الرومانسية، فالشاعر أسرع من غيره إلى التأثر بواقع الحياة لأنه يتمتع بقدر عال من الحساسية والتوتر، ولهذا فقد عانى الكثير من الاغتراب الفكري والنفسي الزمكاني وغيره. وكان في مقدمتهم السياب الذي عرف بالشكوى والاغتراب في أشعاره وخاصة في قصيدة غريب على (الخليج، وانشودة المطر) وغيرها وكذلك نازك الملائكة والبياتي وسواهم من الشعراء المحدثين لكن بنسب متفاوتة، فالاغتراب ظاهرة من الظواهر النسبية التي تختلف باختلاف الزمان والمكان وتوجد في معظم أنماط الحياة ومن اهم قضايا عصر العولمة وسمة من سماته البارزة، إذ تزيد من إحساس الانسان بالغربة عن واقعه الاجتماعي فيفقد السيطرة على التغيرات الحياتية والفكرية (سماح بن خروف الجزائر، ٢٠٢٠م، صفحة ٧٤). المحمومة بسمة عصر السرعة.

بواعث الاغتراب

إنّ الاغتراب ظاهرة "قديمة قدم الوجود الإنساني ألقت بظلالها على حياة الانسان فكراً ونفسياً وعضوياً ليغترب جغرافياً بجسمه عبر الهجرة من مكان إلى آخر وإلاّ بالانطواء على الذات او رفض الأعراف الاجتماعية السائدة او بإنكار النظام القائم بجميع ايدولوجياته وأحياناً نبذ القيم الدينية والروحية (سماح بن خروف الجزائر، ٢٠٢٠م، صفحة ١١)، فاعتراب الذات "ينشأ بين الانسان وعالمه الخارجي بين الواقع والخيال بين ما هو عليه وبين ما يحلم به. بين ما يملكه وبين ما يطمح إليه بين نظام العالم ونظام تفكيره بين عالم الآخرين وعالمه الخاص، فينفصل المرء عن ذاته الإنسانية الحقة او عن طبيعته الجوهرية، وبهذا المعنى يحمل ذلك التعبير فكرة الفقد الكلي لإنسانية الانسان" (غسان السيد، ٢٠٠٣) وهذا ما يجعل، وجود الانسان بصورته التي نراه عليها في المجتمع الحديث لا يتفق مع جوهره وذاته الحقة (عزت حجازي، ١٩٨٥، صفحة ٧٢). وهي توطد علاقتها بالمخبا لها وسط لجة الللاوضوح بالآتي.

لذلك يمكن القول إن داخل كل إنسان هناك انسان آخر مغترب بأفكاره وهمومه قد يحاور ذاته ويطلع أفكاره الخاصة دون أن يشعر بها الآخرون أي تبقى قابضة قسراً في قرارة النفس وتقع تحت وطأة القيم والعادات الجمع التي لا تقدر الذات على مجابتها او معادتها وإن كانت بنسب مختلفة بين شخص وآخر "حتى ليصح أن يقال إنّ في كل إنسان مغترباً". (محمد رضى جعفر، ١٩٩٩م، صفحة المقدمة). مختفٍ في منطقة قصية من الذات يكشف عنه الإبداع

الفني القصيدة بصور مباشرة او غير مباشرة أحيانا؛ فالشاعر يصنع عوالم معنية أساسا في استيعاب احساسه وتمثيل رؤاه الدفينة تنهض على متخيل صوري يتشكل وفقا لأحاسيسه الجوانية، مما يعطي متعة في التوغل بين تفاعلاتها ورموزها المعقدة بغية الوصول إلى مضمراتها المدهشة التي تتقلنا نحو مخابئ محتشدة بالمتعة والمسكوت عنه في النص، التي تعمل على جذب القارئ إلى بؤرة الإحساس الجمالي المتشطي في الذات وعالمها الذي لا يقل اتساعا عن العالم الخارجي بأسره، وهي تعزز النص الشعري بقيم جمالية تزيد من مستويات فاعليته التعبيرية والجمالية.

المبحث الثاني

الاغتراب في شعر عدنان الصائغ

عدنان الصائغ شاعر عراقي عاش مغتربا بجسده وأفكاره التي شكلت مصدر جدل بين نفسه والواقع المعيش؛ فأصبح صوتاً مختلفاً برؤاه عن الكثير من مجاليه بشعره الجموح الذي رفض الواقع وتمرد عليه؛ فكان نتاجه شعراً نقياً بعيداً عن واقعه الملوث بالتضليل والتملق، فاختر أن ينعطف بتجربته الشعرية منعطفاً جديداً ولكن ليس طارئاً على سياقه الشعري، بل إبداع للحظة الشعرية الخاضعة لمنطق داخلي لا يتصل إلا بفحوى وجدانه؛ فكتب برؤية مختلفة تأخذ الوجه الآخر من الموضوعات في واقعه الحياتي، فالحرب مثلاً لم يتحدث عنها بنشوة الانتصار بل من حيث الانسان المغيب بين الطرفين الجندي المجهول، وكذلك وعن الأم والأبناء بضمير الفقد والمهمشين تحت قيم عليا، وفضلا عن الوطن والغربة، وأخذ من واقع الحياة اليومية ولامس قاعها الواسعة، كما بدى أثر غربة الشاعر بعيداً عن وطنه ذلك الامتداد الشعري عن الوطن وذاكرياته التي لا تنفك عن مخياله الشعري، ومن هنا كان الاغتراب ظاهرة دفعت الباحث للكشف عن تلك التفاصيل التي يبيثها الشاعر في فحوى نتاجهم؛ وصولاً الى وظيفة الفعل الشعري الذي يصور ما يجوس ذاته الدفينة، وأفكاره الجريئة المغترية، والبحث عن الأسباب التي كمننت وراء الشعور بالاغتراب؛ ليرتبط العمل الفني بفكرة التحرر من الاغتراب حسب هيجل "فالإنسان يفعل هذا -بمعنى انه يبدع- لكي يتمكن كذات حرة سلب العالم الخارجي من غربته" (مجاهد عبد المنعم، ١٩٩٧م، صفحة ٨٤) وبذلك يصبح الاغتراب الباكورة التي هيأت المناخ لطرح الاسئلة التي تكشف عن حياة الشاعر وتفاصيلها الدقيقة في نص الشعري، ومن انجع معطيات الغوص وراء صور عالمه الخاص. وقد حدا به إلى ضرب من الانطواء بالمعنى النفسي او عكس ذلك من الرغبة الجامحة في تجاوز القيم والانفتاح على مادة الواقع إلى غير ذلك من أبعاد تحكيها قصة الشاعر المعلنة عبر صراعه الطويل مع عالمه الواقعي والشعري بصفة خاصة (مي يوسف خليف، د.ت، الصفحات ١٥-١٦) وفحوه القارة في عالم النص.

أنواع الاغتراب عند الصائغ.

تتظافر عدة عوامل في خلق حالة الاغتراب قد تكون (نفسية، فكرية، مكانية، اجتماعية....) وغيرها تسهم في تشكل ذات متمردة أو خاضعة مهمشة؛ فتكون علاقتها (سلبية/غير متكاملة) مع مجتمعا أو مع نفسها أحيانا، تعيش صراعات داخلية من جهة أو خارجية من جهة أخرى، ولعلّ الكثير من الأفكار التي تغيّر الواقع المعياري، جاءت لتشكل جلّ المعطيات الخارجية المناقضة لقناعاته المضمرّة، وذاته التي تنزاح إلى أطر تؤول عن دائرة الخطاب اللغوي الواضح إلى دائرة الشعر والتجارب الفكرية والفلسفية المعاصرة وشحن خطابه الشعري بكل ذلك. وقد رأينا أن شعر الصائغ يشكل نتاجاً لشخصية ثقافية تتمتع بالعديد من الصفات المكونة والمتكاملة، بحيث نستطيع أن تتفاعل مع الحياة شعرا وفكرا؛ لأنّ القصيدة تمثل حالة "بحث ترتاد حقائق الوجود بهدف إعادة صياغته من جديد وفق الاطار العام للإنسان الذي يفكر ويتأمل ذاته وغوص داخلها" (عمر منيب ادلبي، ٢٠٠٨، صفحة ٦٥) فالشاعر قد يجد نفسه في خطابه الشعري، ونشوة إلهامه التي تغادر الخطاب المباشر والشائع وتذهب به عميقا وحرا حيث الشعر.

١. الاغتراب النفسي/الذاتي

الاغتراب ظاهرة نفسية إذ تشكل الذات لنفسها صومعة (نفسية فكرية) تحتجب بها عن كل ما يقلقها أو يغيّر سلوكها وهي تبني لنفسها خيالات من العوالم التي تحاورها وفق منطقها الخاص وترتئنها خارج اطار القانون أو العرف الوضعي/ الضاغط الذي يستحكم بمشاعرها، وهي تحول كسر قشرة الواقع لأجل حياة أخرى خارج حياة الجمع التابع أو القابع تحت وطأة السلطة أو مما يولد قهرا نفسيا يكبح الذات، أن هذا الاغتراب (النفسي) "هو نتاج تراكم عدة أنواع اغترابية كالاجتماعي والعاطفي وسواهما، إذ أن تعاقب الإخفاقات والإحباطات تؤدي بالإنسان إلى اعتزال واقعه اعتزالاً كلياً أو شبه كلي، وسعيه إلى بلوغ واقع آخر لا وجود له إلا في تصوره." (محمد رضى جعفر، ١٩٩٩م، صفحة ٤١). مما يجعل الذات تعاني من انعدام الكفاءة الاجتماعية، وإحساس يلتهم ذاتي يعيشه، إذ يتجلى الشعور بأنه أقل من الآخرين وأنه دون مستوى الواقع الاجتماعي، وهو إحساس داخلي في معظم الأحيان أكثر منه موضوعي (مصطفى حجازي، ٢٠٠٩م، صفحة ٢٣٨). والانا هنا لا تعاني عزلتها داخل نفسها فقط بل تتجاوزها لتعانيتها وسط الآخرين وداخل عالم مجرد من الحوافز أو الشفافية" (سماح بن خروف الجزائر، ٢٠٢٠م، صفحة ٧٣). ونزوع الشّخصيّة إلى المعاناة العميقة، كما نطالع في النص الاتي:

هواجس

أقل قرعة باب

أخفي قصائدي -مرتبكا- في الادراج

لكن كثيرا ما يكون القرع

صدى لدوريات الشرطة التي تدور في شوارع رأسي

ورغم هذا فانا أعرف بالتأكيد

أنهم سيقرعون الباب ذات يوم

وستمتد أصابعهم المدربة كالكلاب البوليسية إلى جوارير قلبي

لينتزعوا أوراقي

.....و

حياتي

ثم يرحلون بهدوء (عدنان الصائغ، ٢٠٠٤، صفحة ١١)

صورة مبنية على الاغتراب النفسي القائم على الخوف نتيجة تسلط الثقافي والفكري من قبل السلطة وجدليته التي تحاصر الذات بين الصمت والقول الشعري بحيويته الراضية للخضوع للفضاء الثقافي والفكري المسيطر/السلطوي او فلسفة الخطاب المؤدلج، واشكالية النص المشاكس (قصائدي) الذي يعادي السلطة ورغبتها السياسية؛ مما يعمق حالة الاغتراب والخوف الشديد الذي يحاصر الانا الشعرية (أقل قرعة باب أخفي قصائدي -مرتبكا- في الادراج) فالواقع السلبي الذي يسلب حريته يمّون القصيدة بمزيد من الحس بالرهبة والاحتشاد الانفعالي الذي يشغل ذاته إزاء اغتراب ينتزعه "من ظرف إنساني مثالي" (د. قيس النوري، ١٩٧٩، صفحة ١٨) ليكون الواقع والوهم متداخلان كما يشير النص (لكن كثيرا ما يكون القرع) (صدى لدوريات الشرطة التي تدور في شوارع رأسي) إن حالة التوجس التي يبعثها الاغتراب لدى الشاعر، وقد تكون عاملا مهما في مضمون النص (لينتزعوا أوراقي و..... حياتي) فالخوف من السلطة شكل واقعا اغترابياً وصيرها (السلطة) من ملاذ آمن إلى مصدر خوف وانفصال الذات، "فالفرد يغترب حين يشعر بالتناقض بينه وبين الدولة وبالتالي يولد الشعور بالاستلاب" (ريتشارد شاخت، ٢٠٠١م، صفحة ٢٥٠) ويقلقها الذات بشكل دائم ينتزع حالة وجوده الطبيعي فلاغتراب "علاقة وطيدة بأعقد شيء أرهق الوجود الطبيعي" (سماح بن خروف الجزائر، ٢٠٢٠م، صفحة ٣٣). للذات لعل هذا الحس يبدو واضحاً في النص حين يقرّ الشاعر

بنهاية حياته في خاتمة النص، ممثلاً ذلك بالإيقاع البصري، إذ يرسم حساً بالخواء عبر الامتداد النقطي (.....) الذي ينذر بحالة انطفاء الذات وتلاشيها (ورغم هذا فانا أعرف بالتأكيد) إلى حد يشعر الشاعر بتلك النهاية القتل (لينتزعوا أوراقى و.....حياتي) نتيجة اغترابه الفكري، فكثيراً ما يجد في نفسه حساً بالوحدة بالرغم من تحرر الشاعر من قيد المكان بالسفر الذي بات عاملاً طردياً يثير اغتراب الشاعر كما يقول في قصيدته.

ليلة لشبونة. (عدنان الصائغ، ٢٠٠٤، صفحة ٥٧)

ها أنتَ تطوفُ العالمَ

ها أنتَ تطوفُ لوحديكَ

ها أنتَ تنوحُ على ما مرَّ

تناسَ المرَّ

تناساكِ المارّون،

فما تنتظرُ أو تنتظرُ..

إن حالة الشتات تبدو جلية في النص الشعري الذي يحاكي ما يغمر النفس من ألم وفرقة واغتراب جعلها (تطوفُ العالمَ، ها أنتَ تطوفُ لوحديكَ..) في حالة من الوحدة وبالرغم من حركتها بين الناس (تطوفُ العالمَ) باختلاف أفكارهم ومستوياتهم الاجتماعية، لكنها تبقى مغتربة تشكو وحدتها (تطوفُ لوحديكَ.) وبجزن تنوحُ على ما مرَّ تعاني التهميش أو السلام الداخلي، التي هي الوجه الآخر من شكوى ذات ابتعدت عن الوطن فأصبحت مغتربة في نفسها قبل جسدها في حالة شعورية "ولحظات تجعل الذات مهمشة إلى درجة لا يستطيع الشاعر أن يعبر عن نفسه بضمير المتكلم؛ لذلك يلجأ إلى ضمير المخاطب الانت... في حوار داخلي يبرز حدة وقسوة المعاناة التي تعاني" (موسى ربابعة، ١٩٩٥، صفحة ٧٤٥) منها الذات الشاعرة، وهو يمارس حساسية انفعالاته الشعرية ازاء الواقع الذي يغترب عنه.

قد يولّد الاغتراب إحساساً رهيباً ليصبح "غريباً في هذه الدنيا بل غريباً عن نفسه لا يشعر أنه مركز العالم أو انه خالق لعمله متحكم فيه" (إيرك فروم، ١٩٦٠، صفحة ٨٩) كما نطالع في النص الاتي:

شيزوفرينيا

في وطني يجمعني الخوف ويقسمني:

رجلاً يكتبُ

والآخر خلف ستار نافذتي

يرقبني. (عدنان الصائغ، ٢٠٠٤، صفحة ١٢)

إنّ ما تتطوي عليه الذات قد يكشفه النص الشعري بلغة تستند على ما يهيمن على باطنها ويشغلها...وهنا يرسم لنا النص بدءاً من العنوان (شيزوفرينيا) دلالاته التي تدل على مدى تسلط الخوف والقلق النفسي وانفصام الذات عن الواقع لكنه الواقع السلبي الذي لا تتجانس معه فكراً أو حتى روحياً/نفسياً، وكأن أصواتاً داخلية تخاطب الذات وتتسامى بها عن الواقع مما يخلق فجوة اغترابية بين الذات ومحيطها، ويتضح بالعنوان حجم ما يمتلك روح الشاعر من اغتراب ويجتاح فكره، حد انشطار الذات عن الواقع المشاكس لها، ولعلّ التركيب اللغوي القائم على حذف الفعل والفعل في جملة (رجلاً) جاء لتوضح حالة الارتباك والخوف القائم على الاقصاء في المجتمع والالتفات إلى المقموع والمهمش، حد امتلاء بالصور والهواجس الشعورية السلبية التي تهيمن على القصيدة وما يجول في ذهنه، فلشاعر عالمه الخاص الذي يتسم بأفكار وخيال لامحدود يتداخل أحياناً أو يتقاطع مع فضاءات وأفكار اجتماعية أو غيرها لا يؤمن بها إذ تتعارض مع رؤياه وخياله مع الآخر (والآخر خلف ستار نافذتي يرقبني)، مما يجعله في اغتراب فكري أو نفسي.. ينشئ رؤية تكون فاعلة في نصه الشعري ويجعله خصباً بالصور الاغترابية وايعاءاتها التي ترسم أثر المحيط البيئي فيها. وهذا ما يكشف عنه نصه الاتي:

نص

نسيْتُ نفسي على طاولةٍ مكتبتي

ومضيتُ

وحينَ فتحتُ خطوتي في الطريق

اكتشفتُ أنني لا شيء غير ظلٍ لنصٍ

أراه يمشي أمامي بمشقة

ويصافح الناس كأنه أنا (عدنان الصائغ، ٢٠٠٤، صفحة ٩)

لا شك أن حالة الاغتراب قد تصبح أحيانا حالة متلازمة تشعر بها الذات وتستلذ بها وهي تخاطب ذاتها في حالة من التواصل والانفصال في آن واحد، فتبدو الذات كشخص آخر يحاوره الشاعر بحوار يظهر كأنه بين شخصين لكنه أحيانا قد يندمج بشخصية واحدة، وهذا ما يؤكد ذات الشخصية التي تجتر هواجسها الدفينة حتى في اللاوعي، مما يعني سلطة الاغتراب في فكره، متأثرا بقوة الاغتراب الذي يمارس فاعليته على الفرد كي ينفصل عن نفسه فتحوله إلى ظل هي صورة مكثفة لحجم التهميش والاغتراب الشديد الذي يفصل الروح عن الجسد معنويا، كأنه موت لفاعلية الذات أو تحققها تحقق كاملا (نسيث نفسي على طاولة مكتبتني ومضيث). وكأن النفس أصبحت من الأشياء التي يحملها جسده في اغتراب بين الجسد والروح (أراه يمشي أمامي بمشقة ويصافح الناس كأنه أنا). وجسده الذي ظل غافلا يمارس الحياة دون فكره مما يعمق مأساته، وكأنه يكابد عبثا لا طائل منه.

٢. الاغتراب المكاني:

تتفاعل الذات مع ما يحيط بها من موجودات وبخاصة الأمكنة التي هي مناط خصوصية الذات في النشأة والوعي والقيم التي تتجذر بالذاكرة عميقا وتسهم في تكوين الشخصية وطبيعتها بوصفها فاعلا شعوريا يعمل على تحرض الذات بمحورين متناظرين ألفةً واغتراباً تكتظ بهما الصورة الشعرية النشطة في النص حين تكون نابعة عن تصارع قوة الجدل الفاعلة بين الالفة والاغتراب وانجذاب إلى الوطن الأصل، فالقصيدة تمثل معراج شعري يمارس فيها الشاعر انعطافه عن الواقع وتحولاته إلى عالم من وحي ذاته "بالتحول من شعرية المعرفة إلى شعرية التجربة" (جمال جاسم أمين، ٢٠١٠، صفحة ٥٩) ورؤية الذات التي تتري المسافة بين الشاعر والقصيدة والمتلقي.

مرّةً، في اخضراركِ..

أخيْتُ بين الندى المَرِّ،

والسوسنة

ومِلْتُ إلى صدركِ البَضِّ، كي أحضنهُ

فلَمْ أَرِ إِلَّا ضلوعاً تشدُّ الرحيلَ

.....

كيف من بعدِ عشرين عاماً

أعدتِ الغناءَ الجميل

أعدتِ العراقا

أعدتِ النخيلَ،

الضفافَ التي واصلتنا،

النجومَ التي سامرتنا،

فكنتِ أَشْفَ وصالاً

..... وكنْتُ أَشَدَّ احتراقا

.....

مرّةً..

مرّةً..

رُبّما؛ نلتقي صدفةً

- أه.. يا غربتي،

أه.. يا وطني -

فندوبُ

عناقا

إنّ حضور مفردات (أشَدَّ احتراقا، يا غربتي، يا وطني، فندوبُ، عناقا) يعكس حرارة الفراغ النفسي (أشَدَّ احتراقا) والتحرك والسفر عبر الخيال الشعري إلى الوطن بشعور واسع وعميق غير متناهي لا يعرف الحيادية...

لتعوض اغترابها برؤية داخلية تميل إلى التماهي والالتحام (فندوب، عناقاً) .. وهي تعرض تفاصيل شخصية الشاعر بكل ألمها واغترابها "تراوح رد الفعل على الاغتراب بين العودة إلى الطفولة، واسترجاع الماضي، وبناء المدينة الحلم، واستلهاج التراث بالإضافة إلى صيغ أخرى تفرد بها الشعراء إشباعاً لحالات خاصة." (محمد رضى جعفر، ١٩٩٩م، الصفحات ٤٦-٤٧) وهي تلّج نصها برؤية خاصة. وهذا ما يعطيه النص الاتي:

غربة (١) (عدنان الصائغ، ٢٠٠٤، صفحة ٥٦)

مرّة، في القصيدة

لو شئت لي؛ وطناً...

كان يكفي لكي نتلاقى

مرّة..

كنت في لوحة المستحيل

تسيرين جنبي

فأزداد منك التصاقاً

مرّة، في المواعيل

.. أو في العويل

مرّة، في الصباح القليل

مرّة، في الرصاص الذي أورت الدم

جيلاً فجيل

.....

إنَّ الشَّأو الكبير للمرأة شكل تعويضاً نفسياً للشاعر كوطن بدل يلتجئ إليه في غربته التي يتمرّد عليها بقصيدته أيضاً في وطن الابداع الفني هو موطن الذات فكراً بعد فناء جسدها، وكأنه يعرض تداخلاً بين (المعنوي) القصيدة و(الفيزياوي/ المادي) الانثى فكلاهما مأوى للذات يعمل على تأسيسه على غرار روحه فالشاعر لم يتغزل بالمرأة ومحاسنها كغيره من الشعراء بل تمثلت لديه بالوطن والصديق وما يستوعب روحه القلقة، فهو لم ينتفض لها بنشوة شعرية تحاكي مفاتها؛ لذلك مثلت له عالماً يلتجئ إليه حال غربته وقلقه (مرّةً، في القصيدة لو شئت لي؛ وطناً... كان يكفي لكي نتلاقى مرّةً..). إذ يتحقق البعد الروحي والوجداني للعاطفة بين عالم المرأة والقصيدة. في فلسفة من الجمال يواجه فيها اغترابه، ويجد (انه) فيها إزاء عالم قائم على الفراغ والمجهولية. لأن ما تحلم به الشاعرة لا يمت إلى الواقع بصلة، وإنما ينتمي إلى العالم اللامحسوس، حيث تعيش روحها خارج الوجود الاجتماعي غير المألوف.

نخباً لرامبو، لسارتر. نخب النواصي. نخب القصيدة؛

أغنيتي البكر،

منفائي، والمقصلة

نخباً لإيفل، نخب الغريب على السين تأخذ الذكرى - أو الراجمات، إلى آخر الدمع

والكأس..

والفتيات بأخرة الليل والسكر؛

من دونما بوصلة

فمن أين أبدأ

طافحة خمرتي بالشجون

وباريس طافحة بالجنون

وقلبي وحيداً، يصيح: العراق.....

العراق....

العرا...
...

الع...

ال..

..ا

..

فَمَنْ؛ سَتَحِنُّ،

وَمَنْ؛ سَيَعِنُّ،

لكي يُوصِلَهُ!؟

ينشرح النص بمواصفات تشكل موجة صورية تحكي الحيرة والضياع وحالة من الفقد النفسي القاسي التي تحاول الذات الشعرية أن تتعالى عن ذلك عبر الخمرة (نخب) ونخب الابداع (نخب القصيدة) علّه يخفف عنها وطأة الاغتراب (منفاي والمقصلة) التي تطوف دونما تحديد (دونما بوصلة) وهي تصور حركية الذات في بحثها المستمر عن جادة الحياة.

وقد عزز الشاعر هذا الإحساس أسلوبياً عبر تكرار مفرد (نخب) التي تجتر تداعيات الماضي الدفينة في وعيه وبضغط الواقع (السلبى/الاغترابي) (نخب الغريب على السنين تأخذُ الذكريات - أو الراجمات، إلى آخر الدمع) انه نزيف ذكريات الذي تسرد حالة التأزم في ذهنه ونفسه وليضاعف إحساسنا يرسم لنا الشاعر باللغة صورة شعرية باللغة وصياغة التراكيب وإنشاء الجمل الشعرية في رسم المفردات التي تتحرك بنا عبر الفضاء البصري لمفردة (العراق) التي تحكي البعد والشوق والحنين (وقلبي وحيدٌ، يصيحُ: العراق..... العراق.... العرا... الع... ..ا) ما يجلو عن مشاعر الألم والاضطراب والتوتر النفسي بعد الاغتراب المكاني ورحيله عن موطنه الأصلي العراق، فالشاعر متفرد بهوموم وقد لا يجد تعويضا عن هذا الاغتراب إلا الفن (نخب النواصي. نخب القصيدة؛) "فالجمال والفن بمثابة المنجاة والمخلص الوحيد من حالة الاغتراب" (سماح بن خروف الجزائر، ٢٠٢٠م، صفحة ٤٩) وما يبثه من صور شعرية هي شكوى للجسد المغترب عن وطنه؛ لأن ذاته مشغولة بسفره إلى العراق حاضنته الروحية والمكانية لا ينفك يذكرها في شعره. بالرغم من وجود الحياة/الناس من حوله فهم لا يشعرون بآلامه التي يحبسها في

نفسه ولا تتمظهر إلا في شعره؛ لأن الإبداع الفني يمثل تعويضاً تصعيدياً عن رغبات نفسية عميقة ظلت بلا ارتواء بسبب عوائق العالم الخارجي، فالشاعر عبر الإبداع يسعى إلى ردم هوة الفراغ بين العالم (المعيش/الواقع) وعالمه (الروحي/الذاتي).

المبحث الثالث

تمظهرات الاغتراب في الإيقاع (الصوتي والبصري)

منح الإيقاع (الصوتي والبصري) القصيدة حرية الاختلاف والمغامرة بالتشكيل، ومكّنها من الوصول إلى مسافات دلالية وجمالية جديدة في بنيتها الشعرية، أسست لعلامات قرائية تفضي إلى مضمرات يتتبعها الحسّ البصري عند مواجهة النص، الذي يتشكل بحسب فحوى الذات الفكرية والنفسية؛ مما ينمي فاعلية النص القرائية في شكل شعري يفعل الدلالات بطريقة مغايرة تمكّنها عبر التحول الشعري/التشكيلي من المراوغة بغية المزيد من الإنتاج الشعري، الذي يجعلنا نقف عند أسباب هذا التشكيل، والبحث في مضامينه البصرية والإيقاعية

١. الإيقاع الصوتي

يمثل الإيقاع الصوتي والبصري فعلاً لغوياً بّناء يرسم خارطة شعرية للأحاسيس الشاعر الكثيرة عبر تشكيل جسد النص واغتنائه بالأصوات الأكثر تناغماً وحالة النفس بتكرار (حرف، كلمة، جملة) مثلاً أو ترجمتها بجسد القصيدة عبر التلاعب في توزيع الكلمات التي تنفر من محجرها الذي يقضي بالتلازم/ التتابع في توزيع المفردات على الفضاء البصري إلى مساحات أوسع من سطح النص، وهي بذلك تؤسس لعبة شعرية فعّالة لاستيلاد المعنى عبر الدال البصري وفق مساحة الاشتغال الشعري للمفردة على سطح النص/الورقة والتي تشكل تحريضا قرائيا/بصريا وعي المتلقي للبحث عن المعنى المقصود لمشاغلها الدلالي وحساسيتها حركتها داخل فضاء الورقة ولأن وظيفة اللغة الشعرية "تعبيرية جمالية انفعالية تستخدم للتعبير عن أحاسيس واتجاهات وإثارتها عند الآخرين" (مصطفى سويّف، ١٩٧٠م، الصفحات ٢٨١-٢٨٢). بشكل أكثر فاعلية كما في قوله

غربة ٤

.....

..... إلى أين تتأى

ى ى

أفي كلِّ يومٍ م م م

ستختار منفىً جديداً دا دا دا

لتنأى بعيداً دا دا دا:

إلى أول القطبِ

ب ب ب

- أعني: إلى آخر الصَّحْبِ -

ب ب ب

أو آخر الكُتُبِ

ب ب ب

- أعني: إلى آخر السُّحْبِ -

ب ب ب

.....

ما آن أن تستريحَ حَ حَ ظلالُكَ،

يا صاحبي

إن الفضاء النصي المفتوح الذي ينطلق من الشاعر يحكي إيقاعاً نفسياً متأزماً وصراعاً للذات مع الواقع للتفاعل الحروف بخصائصها النغمية التي تشكل نوتات موسيقية تعزف ما ينتاب الشاعر من أحاسيس تكون صدى لتلك الأحاسيس عبر الترددات الموسيقية لأصوات الحروف مثل ما نجد في صوت (الذال والباء)، بقلقلتهما، اللذان أسهما

إسهاما واضحاً في تشكيل طبقة إيقاعية تحمل حساً بالآلام والاعتراب على وفق تصعيد الطبقة الإيقاعية ذات التوتر الالبقاعي الذي يجانس التوتر النفسي، إذ يتوافقان وحالة عدم الاستقرار (ستختارُ منفىً جديداً دا دا دا)، فضلاً عن الصوت -الحاء (تستريح ح ح) الذي ينطلق من أقصى الحلق وهي هنا دلالة إلى مدى ما يكابده الشاعر من أوجاع الاعتراب المضنية. "ففي الكلمة العربية موسيقى باطنية عفوية بلا تصنع، قوامها التوافق الفطري بين خصائص أحرفها وبين ما تدل عليه من المعاني إحياءً أو إيماءً" (حسن عباس، ١٩٩٨م، صفحة ١٨) تمثله القصيدة بخصائصها الشعرية.

لعنةٌ هذه الأرضُ

كم غَصَصْتنا

وكم رَغَبْتنا

وكم شَرَدْتنا

وكم....

م

فما لك منها

سوى حُلْمِها المستحيل ل ل، تعلّة هذا الحنين

فشَرَّقْ

وغَرَّبْ

بها

ما تشاء،

أو تشاء القصيدة

موجة الاغتراب التي تنتاب الشاعر في نفسه جعلت مغتربا عن عالمه باسره (فشرق وغرب... ما تشا) في حالة من انكسار ويلتفت إلى عمره الماضي، وصدى السنين الطوال التي تدندن في نفسه كأنها سخريه لمرارة العيش فهو يحكي الجانب الآخر من الانسان او الشاعر في حالة من الشرخ والركود الذي ينتاب الذات، فهو يبيت الغرابة بصورة متصاعدة ومتوالية في نصه عبر تكرار الحروف بأصواتها المتعددة، ويرسم لنا حجم الايهام بالواقع، فتكرار الحرف ليس زخرفة لغوية بل بكل تكثيف صوتي يرتبط بعمق الحالة النفسية للذات الشاعرة ويرسم لنا انعكاس الفضاء البيئي والنفسي... فبالأصغاء إلى الالفاظ ودوائرها الشعرية لوجدنا أن التفعيلات والقوافي الشعرية تركت بصمتها الموسيقية على صيغها وجملها الصوتية، مما جعل كل لفظة منها واحدة من المستحاثات اللغوية (د. إبراهيم أنيس، ١٩٧٢م، صفحة ٢٩٨)، تعطينا إحساسا بذات الشاعر وانفعالاته. وكما يمكن رصد إيقاع الصوتين المهموسين (الكاف، الصاد) (كَمْ غَصَصْتَنَا وَكَمْ رَغَبْتَنَا وَكَمْ شَرَدْتَنَا وَكَمْ) إذ "استطاعا أن يشيا بدلالة ترتمي في أحضان الوحدة والغربة، ومثل ذلك الترتيب الإيقاعي قاد إلى تحويل الانفعال إلى طاقة صوتية هامسة تمتاز بالجهد -كما يقرر علماء الأصوات- أو أنها مُجهدة للتنفس، لأننا نحتاج إلى كمية من هواء الرئتين أكبر مما تتطلبه الأصوات المجهورة. (د. إبراهيم أنيس، ١٩٧٢م، صفحة ٢٧) لتتناسب أصوات هذه الحروف حالته النفسية بتغمتها الشجية وحالة الاغتراب.

فَالْعُمُرُ أَقْصَرُ مِمَّا تُعَانِدُ دُ دُ

أَبْخُسُ مِمَّا تُكَابِدُ دُ دُ دُ

أَضِيقُ مِمَّا تَوْهَمْتُ:

تَبْنِي بِهِ

وَتُقِيمُ مَ مَ

مَ

مَ

* * *

إنّ تكرار الصوت الدال يشي بحالة من الشجن على ما مضى من الحياة الشاعر وكأنها روح الصوفي التي تزهد بالحياة ((فَالْعُمُرُ أَقْصَرُ مِمَّا تُعَانِدُ دُ دُ... تُكَابِدُ دُ دُ دُ دُ) عبر هذا الرخيم الصوتي وحس بالتفجع

والموت، تكرار صوت (الدال) أكثر عشرة مرات، بخاصية القلقة "ومن خلال الصدى الذي تتركه التجمعات الصوتية للأصوات المتكررة، وهي تتنوع على مساحة النص اللغوية" (د.محمد صابر عبيد، ٢٠٠٠ م، صفحة ١٠٠)؛ فتشكل نوتة موسيقية تمتد في النص بصورة واضحة، التي ترتبط بالشحنة النفسية لتجسيورها الحي بين تموجات الذات والإيقاع الموسيقي للقصيدة، فضلاً عن التحام الصوت مع البياض حيث يرسم لنا حالة من الفراغ النصي الذي يقابل الفراغ النفسي، فيترسم لنا شعورياً شديداً يملئ على الذاكرة بسطوة الزمن، إنها لعبة شاعر تثير تساؤلات كثيرة عن الغموض والهامشية، التي تتصهر بنقض الحياة (الموت) في اغتراب نفسي عن الحياة وواقعها المزيف، ولعلّ استخدام صيغة الفعل المضارع المتكرر (تُعَانِدُ، تُكَابِدُ، تَبْنِي، وَتُقِيمُ) مع الضمير المستتر تشكل خطاباً نفسياً حزيناً لا يخلو من السخرية وشجو الذات على نفسها... "لأن استعمال مفردات معينة لدى شاعر معين يشير إلى أن حالة نفسية خاصة وراء هذا الاستعمال، ولذلك كان لكل شاعر فنان معجمه الشعري وهو حصيلة تكوينه الثقافي، وقدرته الخاصة في النقاط المفردة التي تعبر عن معاناته". (محمد رضى جعفر، ١٩٩٩ م، صفحة ٦٧) بشكل دقيق؛ لأن "القيم الصوتية في اللفظة تحمل في طياتها دقات شعورية تتلاءم" (د. ماهر مهدي هلال، ١٩٨٠ م، صفحة ١٣٣) وخصوصية الحالة النفسية للشاعر. ومع تكرار صوت (الميم) - (وَتُقِيمُ م م م م) التي من معانيها في نهاية المصادر (الجمع والضم والكسب). ((الجمع والضم)) (حسن عباس، حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، ٢٠٠٠ م، صفحة ٣٧) ولعلّ هذا التكرار يحكي الحالة النفسية للذات ورغبتها بالانضمام للوسط الاجتماعي بصورة أكثر حميمية، فالتلون الموسيقي يستطيع أن يلائم بين المواقف أو يجعل تجسيده للشعور ينطق بواسطة النغمة الموسيقية نفسها فضلاً عن أن الموسيقى في الشعر لها القدرة على تجسيد الإحساس المستكن في طبيعة العمل الشعري نفسه مع قدرة الشاعر على ربطه ببنائه الفكري متلبساً ببنائه الموسيقي (صابر عبد الدايم، ١٩٩٣ م، صفحة ٢٠). المحتشد بالانفعالات والتوترات النفسية.

٢. الإيقاع البصري

إنّ هذا الإيقاع البصري النصي للقصيدة قد يعكس حالة الصراع النفسي والفكري للذات الشاعرة مع واقعها، وإسقاطات نفسية ضمن دوامة الاغتراب التي تشكلت لنا نافذة أو رسمة / خارطة لحجم التأوهات التي تهدد كيانه النفسي وضغطها المتواصل بما يرسم بنية لغوية متشعبة بصرياً تمثل حالة التباعد النفسي والمناجات النفسية العميقة، وما يغلف البواطن من تراكمات، فهي ليس فضفضة التائه بل حساسية ذات مرهفة ذات تفاعلات نصية تستدعي التأمل والوعي الحاد بـ (الرسم/ المشغل) اللغوي الفني غير المباشر، محركاً دلالات النص وما من شأنه أن يفعل جميع التأويلات إلى مساحات واسعة من القراءة والتأويل. و"توفران مجالاً إيقاعياً يفصل مقاطع القصيدة ويمنحها مظهرًا أكبر، وتترزع في معمار القصيدة بشكل" (د.محمد صابر عبيد، ٢٠٠٠ م، الصفحات ٧٥-٧٦) يتماهى مع حس

الاغتراب؛ فالشاعر يلعب أحاسيسنا بصريا ويثير تلك المشاعر التي تنتابه عبر جسد النص، ويترجمها عبر كلماته بصور وأشكال تبدو على غير ما عهدناه في اجترار حيوي للمفردة الشعرية، يعيد توظيفها بعيدا عن المؤلف كي ينزاح بها إلى معان غير تلك التي عهدا المتلقي في مشغل جمالي دلالي في آن واحد؛ فيبرز ما في تلافيف الذات من مشاعر الاغتراب والانتماء التي تراود نفس الشاعر للأمكنة التي يقطنها مثلا دون أن ينتمي إليها روحيا وهذا يتضح بالتلاشي النصي للكلمات "وأن ثمة علاقة ذاتية بين الفكر والكلمة" (حسن عباس، ١٩٩٨م، صفحة ١٩) وكأنه يصنع فراغات تقابل تلك التي يجدها في ذاته.

غربة ٣ (عدنان الصائغ، ٢٠٠٤، الصفحات ٧٠-٧١)

السماء رمادية؛ هنا..

وروحى خضراء

أشعلها الوهم، والمبتغى

وتلك البلاد البعيدة سخمها المدفعيون

السواد الذي كان خصباً

صار سواداً وجذباً

وما ظل من إرثنا في البلاد

سوى إرثنا في الحداد

.....

وليس لك الآن، ممّا ترى

أن ترى:

رُكن حان تُوصل فيه القصيدة

أو..

شارعاً تتسكع فيه مع الذكريات،

وحيداً

وبعض نثيث...

.....

ولك الآن، أن تتناسى الذي مرّ:

المواجع والطعنات

وتبسم للعابرين

تحبي الزهور التي في الحقائق - أعني الصبايا

وتختار ليلاً تواخيه

نجماً تتاجيه

بدءً من العنوان ينحاز الشاعر إلى توجه المتلقي نحو دوامة الشعور بالاغتراب التي تعتمل في وجدانه فتصبغ الأشياء بالألم والحزن (السماء رماديّة، سخّمها المدفعيون، صارَ سواداً وجذباً) انها حالة الشعور بالاستلاب الذي هيمن على الواقع ويدفع الشاعر إلى الغربة وتصدع الذات وعدم الشعور بالانتماء مما جعله أي (الشاعر) إلى أن يتوسل الشعر للخلاص من واقعه (رُكّنَ حانٍ تُوَاصِلُ فيه القصيدة) ومع تلك الذكريات التي تشغل ذاته عن ألم الفراق واغترابه (او شارعاً تتسكع فيه مع الذكريات، وحيداً) كأنها رحلة العودة إلى الماضي حين تشتد وطأة الحاضر لأن "الهروب الرومانتيكي من الواقع والعودة إلى الماضي أو التوجه إلى المستقبل -إلى عالم الحلم والمثل الأعلى- هو بمثابة تعويض للإنسان بواسطة الوعي عن ذلك الواقع الحقيقي، وتلك الرسالة التي حرم منها في المجتمع" (ع. د. غانثيف، د.ت، صفحة ١٢٥) وينزاح بعيداً عن نقيض ذاته الذي يقلقها؛ ليتمتاع من فيض رؤاه وذكرياته التي تشكل له ملاذاً يلتجئ إليه إزاء اغترابه.

هكذا..

العُمرُ - مِثْلُ المحطّاتِ - تتركُ في كلِّ منفى:

بلاداً،

وصحْباً،

وكُتُباً،

وتمشي..

وتمشي...

وتمشي....

ولا شيء - يوليس - غيرُ سرابٍ أثيكا

ودمعة بنلوب

والرحلة ال....

.. خ

ا

س

ر

ة

إن حال التشبه (هكذا.. العُمرُ - مِثْلُ المحطّاتِ) تكشف حالة من الفراغات التي يعانيتها الشاعر بروح اغترابية إزاء الواقع الذي اتلف العمر وهو يستحضر ملف الذكريات ويشبهها بالمحطات المتعاقبة، مما يعني اللاتبات والشعور

بحس اغترابي عميق من واقع يعيشه، إذ يثير الشاعر "جدليات كثيرة كجدلية الحياة والموت والحركة والسكون وغيرها إشارة منه إلى وجود حالة من التآرجح بين الحضور والغياب التي تقترب بالذات وفنائها المعيش" (د.محمد طه الربيعي، ٢٠٢٢ م، صفحة ١٧٢) الذي يحاصر وعيه الشعري. ومع فاعلية التأثير الخارجي - (تترك في كل منفى: بلاداً، وصحباً، وكُتُباً، وتمشي.. تمشي.. تمشي..) فكل الأشياء تذهب إلى اللاجدوى وتتزعج الآ من ذاكرة الشاعر؛ لذلك يعتمد الشاعر إلى تكرار الفعل (تمشي) تعبيراً عن حركة الفعل/الزمن المستمرة، وتعبيراً عن الواقع الثقيل والمتكرر باغترابه وأثرها النفسي الممتد، وقد تجانس هذا الإحساس مع ما يحمله صوت الياء الممتد بوصفه حرفاً يحمل صوتاً ممتداً يمثل ايحاءً شعورياً وإحساساً شديداً "للانفعال المؤثر في البواطن" (حسن عباس، ١٩٩٨ م، صفحة ٩٧)، فالتكرار شكل تضافراً لغوياً للمفردة بدلالاتها النحوية والسمعية، إذ شكل بلاغاً شعرياً لحس الشاعر بالاغتراب، الذي بات واضحاً في كثرة الفراغات /البياض في جسد القصيدة وطريقة رسم الكلمات وتوزيعها بطريقة متعرجة تحكي تعرجات الحياة التي تتعطف به إلى العزلة والاغتراب عن واقعه غير المؤلف فالشاعر يحرك المفردات وفق خطة شعرية تحاكي ذهن المتلقي للحالة الشعورية فلا تخفي حالة الاغتراب التي يخلعها الشاعر على النص التي تعمق الشعور بالاستلاب وحالة السقوط باللاجدوى (الخسارة) عبر التعداد النقطي (والرحلة....) فضلاً عن الإيقاع البصري الذي يمثل هذا الإحساس بصرياً بتساقط مفردة (خسارة) التي عمد الشاعر على كتابتها بصورة عامودية مجزأة توحى بحالة من السقوط والتلاشي أو الموت المؤجل.

غربة ٢ (عدنان الصائغ، ٢٠٠٤، صفحة ٦١)

موجة،

أو كتاب

قلبتني الحياة،

وقلبتها:

غُصصاً....

ورغاب

أخذتني المدينة؛ لندن.....

ما لي

أمرٌ على جسرها

فأرى نهرَ دجلة،

مختضباً

والنخيلات، مثقلةً بالغياب

ولا قمرٌ....

- من ثنايا البيوت -

يردُّ لابن زريق

بريدَ العتاب

ما لي أسائلُ حاناتِها:

- هل لنا جُرعةٌ

عندَ بغداد

قبلَ

احتضانِ

الترابِ

.....

.....

إنَّ الإيقاع الذي يمارسه الشاعر هنا هو اتساع البياض وانحسار المفردة الشعرية في فضاء الورقة إذ يسقط الشاعر مفرداته كلمة كلمة ومنفردة على السطر وبتتابع عامودي كأنه يرسم حالة الاغتراب والسقوط في العزلة عن واقعه، ثم يأخذ السطر الشعري بالتوسع عند ذكر الوطن بغداد لكنه يعود مرة أخرى بالانحسار؛ ليمثل حالة الألم والتحسر الاغتراب ويوزع المفردات بشكل متعرج ثم يختم النص بالتعداد النقطي (.....) في حالة من التلاشي "في صورة تشكل علاقة إنتاجية تراح إلى دلالة قد تكون سيمائية تحقق أبعاد قرائية مبتكرة في النص" (د.محمد طه الربيعي، ٢٠٢٢ م، صفحة ٧٠) فالشاعر يستخدم اللون البياض في فضاء النص مع سواد الكتابة لثير جدلية السواد والبياض كأنها الجدلية بين الواقع والحلم واغتراب الذات او تحقيق وجودها، لأن القصيدة الشعرية هي لوحة تعبيرية (ثقافية/ نفسية) بحد ذاتها، وليس مجرد تراكيب لغوية وفن في استخدام الكلمات ولكنه قدرة الشاعر على استخدام كل طاقاته الفكرية وإمكاناته في صياغة لوحة شعرية تقوم بوظيفة التعبير عن تلك الأحاسيس في ذات.

الخاتمة

❖ شكّلت القصيدة الشعرية لدى الصائغ لوحة تعبيرية (فكرية/ نفسية) بحد ذاتها، وليس مجرد تراكيب لغوية وفن في استخدام الكلمات وتظهر قدرة الشاعر على استخدام كل طاقاته الفكرية وإمكاناته في صياغة لوحة شعرية تقوم بوظيفة التعبير عن تلك الأحاسيس في ذاته .

❖ اختار أن يعطف بتجربته الشعرية منعطفاً جديداً ولكن ليس طارئاً على سياقه الشعري، بل إبداع للحظة الشعرية الخاضعة لمنطق داخلي لا يتصل إلا بفحوى وجدانه فكتب برؤية مختلفة تأخذ الوجه الآخر من موضوعات مما جعله أكثر حضوراً من بين معاصريه.

❖ يعد الاغتراب منعطفاً وجدانياً وفكرياً في حياته جعله أكثر تبصراً بالواقع على العكس من الكثيرين الذين جعلوا من الاغتراب حاجزاً نفسياً بينهم وبين الواقع.

❖ طوع الشاعر التشكيل البصري للقصيدة بما يوافق الإيقاع النفسي والفكري، برسم محتوى شعري يمارس حضوره البصري بتفاعلية تحاكي التوترات النفسية والفكرية؛ فتتمثل في بياض النص والتلاشي لبعض المفردات وسقوط بعض حروفها، وكذلك رسمه بعض المفردات بصورة عامودية توحى بحالة نفسية قريبة من السقوط في القلق والاغتراب.

المصادر والمراجع

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. (١٩٧٩م). معجم مقاييس اللغة ابن فارس (المجلد الطبعة الأولى). (عبد السلام محمد هارون، المحرر) القاهرة، مصر: دار الفكر.

أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي المصري الإفريقي (١٤١٤هـ). (د.ت). لسان العرب ابن منظور (المجلد الطبعة الثالثة). بيروت، لبنان: دار صادر، .

أحمد مختار عبد الحميد. (٢٠٠٨م). معجم اللغة العربية المعاصرة عمر (الإصدار ج/ ٢، المجلد الطبعة الأولى). القاهرة، مصر: بمساعدة فريق عمل، دار عالم الكتب.

آمال عبد المنعم الحراسيس. (٢٠١٦). ظاهرة الاغتراب في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام. كلية الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها/ قسم اللغة العربية وآدابها جامعة مؤتة.

إيرك فروم. (١٩٦٠). المجتمع السليم. (محمود محمود، المترجمون) القاهرة ، مصر: مكتبة الانجلو المصرية.

تحقيق عبدالرحمن بدوي (المحرر). (١٩٥٠ م). الإشارات الإلهية أبو حيان التوحيدي. القاهرة ، مصر : جامعة فؤاد الأول.

جان جاك روسو. (١٩٥٤م). العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية (المجلد الطبعة الأولى). (عادل زعيتير، المترجمون) القاهرة، مصر: دار المعارف.

جمال جاسم أمين. (٢٠١٠). تحولات النص الجديد استبصار فني تاريخي في شعرية ما بعد السبعينات في العراق (المجلد ط ١). بغداد : سلسلة دار الشؤون الثقافية العامة.

حسن عباس. (١٩٩٨م). خصائص الحروف العربية ومعانيها. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

حسن عباس. (٢٠٠٠م). حروف المعاني بين الأصالة والحداثة (المجلد د ط). دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

د. إبراهيم أنيس. (١٩٧٢م). موسيقى الشعر (المجلد ط ٤). مكتبة الانجلو المصرية.

د. قيس النوري. (١٩٧٩). الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً. عالم الفكر (ع ١).

د. ماهر مهدي هلال. (١٩٨٠م). جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب (المجلد د.ط). بغداد: دار الحرية.

د.احمد علي الفلاح. (٢٠١٣م). الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري دراسة مجتمعية نفسية (المجلد ط١). دار غيداء للنشر والتوزيع.

د.محمد صابر عبيد. (٢٠٠٠ م). المتخيل الشعري أساليب التشكيل ودلالات الرؤية في الشعر العراقي الحديث (المجلد ط١). منشورات الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق.

د.محمد طه الربيعي. (٢٠٢٢ م). كهانة النص الشعري تجربة رعد فاضل انموذجا (المجلد ط١). الموصل، العراق : دار ماشكي للطباعة والنشر.

ريتشارد شاخ. (٢٠٠١م). مستقبل الاغتراب. (وهبة طلعت أبو العلا، المترجمون) الإسكندرية، مصر: منشأة المعارف.

سماح بن خروف الجزائر. (٢٠٢٠م). تجليات الاغتراب وأنماطه في الرواية العربية (المجلد ط٢). ديوانية ، العراق: دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع.

سميرة سلامي. (٢٠٠٠م). الاغتراب في الشعر العباسي – القرن الرابع الهجري (المجلد الطبعة الأولى). دمشق ، سوريا: دار الينابيع.

صابر عبد الدايم. (١٩٩٣م). موسيقى الشعر (المجلد ط٣). مصر: مكتبة الخانجي القاهرة.

ع. د. غانثيف. (د.ت). إضاءة تاريخية على قضايا أساسية (الإصدار المجلد الثاني).

عبد الله أحمد المهنا. (بلا تاريخ). نازك الملائكة دراسة في الشعر والشاعرة، تجربة الاغتراب عند نازك الملائكة.

عدنان الصائغ. (٢٠٠٤). الأعمال الشعرية (المجلد ط١). الأردن: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

عزت حجازي. (١٩٨٥). الشاب العربي ومشكلاته. الكويت : عالم المعرفة.

علي شتا. (١٩٩٧). الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية. مصر: مكتبة الإشعاع الفنية.

- عمر منيب ادلبي. (٢٠٠٨). سرد الذات فن السيرة الذاتية (المجلد ط١). دائرة الثقافة والإعلام الإمارات.
- غسان السيد. (سبتمبر، ٢٠٠٣). الاغتراب في ادب تامر زكريا. مجلة الموقف الأدبي اتحاد الكتاب العرب، ع ٣٥٢.
- فاروق احمد أسليم. (١٩٩٨ م). الانتماء في الشعر الجاهلي (دراسة) (المجلد د.ط). دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- مجاهد عبد المنعم. (١٩٩٧ م). جدل الجمال والاغتراب (المجلد الطبعة الأولى). القاهرة ، مصر: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- محمد رضى جعفر. (١٩٩٩ م). الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر (مرحلة الرواد) دراسة . اتحاد الكتاب العرب.
- مصطفى حجازي. (٢٠٠٩ م). سيكولوجية الإنسان المقهور (المجلد ط٥). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي .
- مصطفى سويف. (١٩٧٠ م). الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة (المجلد ط٢). مصر: دار المعارف.
- موسى ربابعة. (١٩٩٥). ظاهرة التجريد في نماذج من الشعر الجاهلي. مجلة دراسات(عدد ٢).
- مي يوسف خليف. (د.ت). ظاهرة الاغتراب عند شعراء المعلقات (المجلد د.ط). دار الثقافة.
- يحيى شامي (المحرر). (بلا
- تاريخ). ديوان المتنبي (المجلد ١٠). القاهرة : دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع مكتبة مدبولي.